

التبيان في تفسير القرآن

(219) جسما محدثا ومن كان كذلك لا يستحق العبادة، لانه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة تقول: العرب عبت فصمت قال الفرزدق: واعبد ان يهجي كليب بدارم (1) وقال آخر: ألا هذيت أم الوليد واصبحت * لما أبصرت في الرأس مني تعبد (2) الثاني - ما قاله ابن زيد وابن أسلم وقتادة: إن (ان) بمعنى (ما) وتقديره ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين. الثالث - هو انه لو كان له ولد لعبده على ذلك كما تقول لو دعت الحكمة إلى عبادة غير الله لعبده لكنها لا تدعوا إلى عبادة غيره، وكما تقول: لو دل الدليل على أن له ولدا لقلت به، لكنه لا يدل، فهذا تحقيق نفي الولد لانه تعليق محال بحال. الرابع - قال السدي: لو كان له ولد لكنت أول من عبده بأن له ولدا، لكن لا ولد. وهذا قريب من الوجه (الثالث). الخامس - إن كان الله ولد على قولكم، فأنا أول من عبده وعبده على ان لا ولد له - ذهب إليه مجاهد - وإنما لم يجر على الله تعالى الولد لانه لا يخلو من ان يضاف إليه الولد حقيقة او مجازا، وحقيقته أن يكون مخلوقا من مائه او مولودا على فراشه، وذلك مستحيل عليه تعالى. ومجازه أن يضاف إليه على وجه التبني وإنما يجوز فيمن يجوز عليه حقيقته، ألا ترى انه لا يقال تبني شاب شيئا لما لم يمكن أن يكون له ولد حقيقة، وإنما جاز ان يضاف إلى شيخ شاب على انه تبناه لما _____ (1) القرطبي 16 / 120 والشوكاني 4 / 550 (2) تفسير الطبري 25 / 55 (*)